و كانت الصدمة
قصة
أماني سليمان

**يقال بأن ضربتين على الرأس توجع**

**كيف يكون حال الرأس إن توالت الضربات عليه**

**و الموجع أكثر عدم وجود فاصل زمني بينها**

**حيث أنني لم أكن استوعب ما جرى**

**لأتفاجأ بما يجري**

وصلت لعملي متأخرة و سبب التأخير هو المواصلات عندما دخلت من الباب لم أرى الحرّاس سألتُ نفسي مستغربة

أين ذهبوا جميعهم ؟!

و كلما تقدمتُ خطوة تزداد دقات قلبي لم أعهد المكان هادئاً هكذا عدتُ أحدّث نفسي أين الموظفين ؟

و أين المراجعين ؟

لكني لم اتوقف تابعت طريقي و في قاعة الاستقبال تسمرت في مكاني من هول ما رأيت

كان المسلحين منتشرين في كل مكان و رأيت زملائي الموظفين في حالة يرثى لها كانت المديرة تصرخ و أحد المسلحين يمسك بيدها و يشتمها بقذارة و هي تحاول الإفلات منه كان ينوي اغتصابها هذا ما أكده كلامه معها و خاصةً أن العنصرية و الحقد ترستا قلبه حيث أنه جاهر بهما دون خجل

و رأيتُ شخصاً قصير القامة عظمه خشن لم أرى وجهه حيث أنه كان يقف أمامي و ما إن رأى أحد زملائي ينظر لي و يشير بيده حركة مفادها أهربي حتى ألتفت و رأيت وجهه و هنا كانت الصدمة الحقيقية كالصفعة القوية التي تأتي على حين غفلة من هول الألم تشعر بالخدر و هذا أصعب ما يحصل للإنسان أنه من كثرة الألم يفقد الشعور به قد تكون من أقرب الأشخاص لقلبك و أحبهم و قد تكون من شخص لطالما فضلته على نفسك و أعطيته الأولوية عنك و ذلك بحجة أنك لست أناني

لا صدقني أنت مخطئ و مفهوم الأنانية لديك مشوّه و الطيبة التي اعتمرت قلبك من فرطها أصبحت سذاجة سأعطيك بعض النصائح يجب أن تكون قواعد في الحياة

- أنت أولاً و قبل كل البشر لا تكن الثاني أو الثالث في أي شيء حتى في ترتيب نفسك

- لا تقل عن أحدهم مسكين يوماً ما ستكتشف أنك أنت المسكين
- في الحب أعطي نفسك كل ما تستحقه من اهتمام و رفع معنويات و مكافئات و سعادة .... الخ
- لا تستكثر السعادة على نفسك و لا تأجلها من أجل أحدهم فالسعادة عندما تبرد تفقد رونقها و لذّتها فهي لحظة إن لم تعشها ستصطنعها لاحقاً و هذا يدل على أنك تكذب على نفسك و تقنعها أنك سعيد و يساعدها في ذلك أداء دورك في التمثيل لكنك حين تشرد بأفكارك حين تجلس بمفردك لا بدّ من أن تعترف لنفسك أنك لم تشعر بهذه السعادة المصطنعة بل سببت لك ضغط و حزن غير متوقعين فالسعادة كالطعام إذا تُرِكَ لبعض الوقت تفقد شهيتك تجاهه باختصار دلل نفسك و لا تنسى نصيب الآخرين في كل شيء أعطهم الاهتمام و اغمرهم بالحب قدم لهم كل ما تتمنى أن يقدموه لك و في الوقت ذاته قدم

لنفسك ما تتمناه و لا تتساهل في حقوقك عليهم و تتعذر نيابة عن أحد لا تهمل نفسك و تعيش في دور الضحية

الأنانية يا عزيزي هي أن تحب كل شيء لنفسك فقط أم أنت تعطي كل شيء للآخرين دون أن يقابلوك هم ببعض ما تستحقه و هذه سذاجة

كن معتدلاً خذ نصيبك أولاً و فرّق الباقي على اللذين يستحقون أتمنى أن تركز على كلمة يستحقون و تضع تحتها خطوطاً كثيرة

و الآن لنعد لتلك الصدمة و ذاك الموقف الصعب حيث أننا وقفنا لدقائق طويلة ننظر لبعضنا عم الصمت الجميع ينتظر نهاية هذه النظرات التي لا تدل على شيء نظرات خالية فهي ليست حب أو اشتياق تشعر أنها فارغة

هل سبق لك أن نظرت لأحد بنظرات فارغة لا تعبر عن شيء و أنا أجزم بأن بركاناً خامداً بداخلك نشط في ثوانٍ و بدأ بالغليان و سيل الذكريات أقتحم ذاكرتك

ففي هذه اللحظة عدتُ بذاكرتي لنقطة البداية منذ عشرة أعوام خلت عندما التقيته أول مرة كان أستاذاً تصله صلة قرابة بصديقي الذي طلبت منه المساعدة في مشروع التخرج الذي كُلّفتُ بهِ عندها قال لي أنه لا يستطيع مساعدتي بنفسه لكنه سيدلني على أحد أقاربه المتخصص في مجال المعلوماتية بالفعل أتصل بهذا الشخص الذي يدعى استاذ تيم و أبدى موافقته فهو يساعد الناس سواء كان يعرفهم أم لا شخص طيب القلب و المعشر

أعطاه صديقي رقم هاتفي و لم يتردد بالاتصال

- مرحباً همس أنا أستاذ تيم كيف حالكِ ؟

- أهلاً أستاذ أنا بخير الحمد لله لكني أواجه مشكلة و أردت مساعدتك لحلها لو تكرمت
- بالتأكيد سأساعدكِ لنلتقي و نتكلم في التفاصيل
- نعم شرفُ لي لقاؤك أستاذي الكريم هل تناسبك الساعة السادسة مساءاً ؟
- نعم جيد حددنا الزمان و بقي المكان
- لنلتقي أمام منزلي و نذهب لمكانٍ عام
- اتفقنا مع السلامة
- مع السلامة

بعد أن أعطيته العنوان أنهينا المكالمة لا أدري ما الشعور الذي انتابني فجأة مشاعر مختلفة و متناقضة ومتمازجة في آنٍ معاً لكن الحماس و السعادة كانا قد غلبا ما عداهما و بدأت صديقتي نسمة بالمواعظ و الأسئلة الغريبة

- كيف ستقابلين شخص غريب يا همس ؟

إن الطقس شديد البرودة و الأمطار لم تتوقف عن الهطول منذ الصباح لن تستطيعي الخروج في هذا الجو

- لا تقلقي عزيزتي نسمة فهذا الشخص ليس غريب هو أحد أقارب صديقي سمعته العطرة تسبقه و أنا أثق بصديقي لو كان شخصاً سيئاً ما كان سيعطيه رقم هاتفي و لا تنسي أنني يجب أن أنهي مشروع التخرج لا وقت لدي غداً موعد تسليمه و أنا منذ شهر أعمل على هذا المشروع لكني لم أفلح و عندما حاولوا مجموعة من زملائي مساعدتي لم يفلحوا أيضاً و رفض المشرف مشروعي حينها لذا يجب أن أحاول مجدداً لن يأكلني لا تخافي سأعود

دقت الساعة السادسة و خرجت من المنزل كانت الأمطار قد توقفت و لكن البرد لا يزال قارساً انتظرت وصول الاستاذ تيم لبضع دقائق ثم جاء و سألني

- مرحباً أنتِ همس صحيح ؟

- نعم و أنتَ أستاذ تيم أليس كذلك ؟!
- نعم
- أعتذر منك أستاذ تيم لا استطيع استقبالك في المنزل كما تعرف نحن طالبات
- نعم أتفهم ذلك لا تقلقي لنذهب إلى أحد المقاهي القريبة نجلس و نتكلم

بدأنا نسير كنتُ أرتدي سترةً سميكة علّها تقيني من هذا البرد و حجاباً ألونه تتراوح بين الوردي الفاتح و البيج و كان حاسوبي على كتفي في حقيبة سوداء بعد بضعة خطوات قال دعيني أحمل الحاسوب عنكِ كي لا تتعبي

شكرته بلطف و ابتسامةٍ خجولةٍ ارتسمت على وجهي ثم ساد الصمت بيننا إلى أن وصلنا فلم يكن المقهى بعيداً

جلسنا و أخذت منه الحاسوب و بدأت بتشغيله كي اشرح له ما أريد و ما إن بدأ نظام الويندوز يعمل قُطِعَ التيار الكهربائي

فجأة عن المقهى كله فأخذ استاذ تيم الحاسوب و أداره باتجاهه استغربت تصرفه و سألته لماذا ؟

ألا ترين أن المكان كله أصبح مظلماً لم يعد يُرى شيئاً سوى وجهكِ الذي أنارته شاشة الحاسوب بدأ الجميع ينظرون لكِ و أنا أغار

لم أعلّق على كلامه و ماهي إلّا دقيقة حتى عاد التيار الكهربائي و أنار المكان كله فأعطيته البيانات المطلوبة و البرنامج المطلوب بعدها دار حديث بيننا شيئاً من التعارف أصرّ أن يوصلني بعد خروجنا من المقهى و لم يسمح لي بالذهاب لوحدي فعلاً دخلت للمنزل و ذهب هو

عند الساعة التاسعة هاتفني ليخبرني أن المشروع أصبح جاهزاً و يجب أن أراه وافقته و أنهيت المكالمة و إذ بنسمة تصرخ في وجهي أين ستذهبين فأجبتها بأني لن أذهب و سألت كيف ؟

أجبتها بأني سأستأذن من الجارة صاحبة المبنى و التي تسكن في الطابق الأول كي تسمح لي أن استقبله في بيتها و بحضور ابنها و بالفعل لم تمانع الجارة و أُعجِبَت بتصرفي لأني لم استقبله في بيتي المليء بالطالبات و راعيت الأصول

وصل الأستاذ تيم و فتح الحاسوب لأرى المشروع تغيرت ملامح وجهي و قلت

- لا
- كيف لا أليست هذه هي البيانات ؟
- هذا الخط البياني منحني و الخط الذي سيكون هنا مستقيم لا أعرف أين الخطأ لكنه يجب أن يكون مستقيماً كي أستطيع تطبيق القوانين و كتابة النتيجة
- همس هذا ما طلبته
- استاذ تيم هذه هي البيانات التي سلمني إياها المشرف و هذا هو البرنامج الذي طلبَ مني استخدامه لكن هناك خطأ ما فالخط يجب أن يكون مستقيماً

- همس أنا عملت و استخدمت خبرتي لأني لم أعرف ما تريدين بالضبط و أعتقد أنكِ أنتِ أيضاً لا تعرفين ماذا تريدين
- تعرف اعتقد أن زملائي سيوصلون لك الفكرة بشكل افضل

اتصلت بزياد و اعطيته الهاتف أخذ استاذ تيم عنوان منزله و ذهب لزيارتهم أما أنا شكرت الجارة و عدت للمنزل استقبلتني نسمة لتسألني ماذا جرى قمت بأخبارها كل شيء و رأت قلقي و خوفي من عدم استطاعتي أخذ المشرع في الوقت المحدد فقالت لا تقلقي إن شاء الله سيكون كل شيء على ما يرام

عند الساعة الحادية عشر تقريباً اتصل بي أستاذ تيم و هو مسرور جداً و أخبرني

- إن المشروع أصبح جاهزاً
- لكني يجب أن أكمله ببعض القوانين و الحسابات

- لا داعي لهذا همس زياد و باقي زملائكِ قاموا بالمهمة بدلاً عنكِ و غداً صباحاً سأزوركِ في الكلية و أحضر لكِ المشروع
- لكني سأكون في المحاضرة عند الساعة الثامنة و بعد انتهائها مباشرة يبدأ تسليم المشروع و المناقشة كيف سأخذ المشروع و أطبعه
- لا تقلقي عند الساعة العاشرة سأكون قد طبعت المشروع و انتظركِ أمام المكتبة

و بالفعل في صباح اليوم التالي عندما انتهت المحاضرة دخلت المجموعة الأولى للمشرف ليناقشوا مشروعهم و أنا استغليت هذا الوقت و ذهبت للمكتبة و رأيت استاذ تيم واقفاً ينتظرني شكرته و أخذت المشروع قلبت أوراقه و بدت السعادة واضحة على وجهي فقد كان المشروع مثل ما أريد تماماً و طلب مني الأستاذ تيم أن يحضر المناقشة

ذهبنا و انتظرنا خروج المجموعة الأولى ثم دخلنا و بدأ المشرف بتوجيه الأسئلة و كنت أجيبه لكنه أكتفى ببعض الأسئلة لأنه أعجب بالمشروع الذي بين يديه و خاصة أنني كنت لوحدي لست مشتركة مع مجوعة من زملائي

خرجنا و كنت بغاية السرور فقال لي تيم ألن نأكل شيئاً ؟

فأجبته بالتأكيد ذهبنا و تناولنا الفطور في الحديقة تحدثنا و عرف عني كل شيء تقريباً أعجب بشخصيتي الواضحة و العفوية و الطفولة التي كانت تسكنني إلى أن كبرت فلا أنا تخليت عنها و لا هي تخلت عني لذا بدوت بنظره طفلة كبيرة قال و كأنه يحدث نفسه و هو شارد الذهن أين كنتِ من قبل ؟

لما أخفاكِ القدر عني كل هذه السنين ؟

لم أجب ساد الصمت لبرهة من الزمن بعدها كسر الصمت و تحدث لم نشعر كيف سرقنا الوقت

رافقني إلى أن وصلت للمنزل ثم أكمل طريقه لمنزله و عندما وصل هاتفني بقينا على ها الحال في النهار أغلب الوقت نتكلم على الهاتف و في المساء يأخذني للمطعم أو لحديقة الألعاب التي أحبها نلعب سوياً

كان كريماً جداً معي بدأت تنمو مشاعر الحب بيننا و في أحد الأيام بدأ يحكي لي قصته كان يتيم الأم فقد توفت أمه عندما كان عمره سنتان إثر حمى النفاس بعد أن انجبت أخاه بعدها تزوج والده و ذهبوا للعيش في مدينة أخرى لكن تيم لم يكن يعلم أنه يتيم الأم إلى أن بلغ من العمر خمسة عشر عاماً في إحدى الزيارات لمدينتهم طلب جده والد أمه أن يرى أحفاده قبل أن يودع الحياة فقد كان على فراش الموت يصارع المرض و شعر بأن أجله قد دنى وافق والد تيم و أخذ أولاده لبيتٍ غريب لم يروه من قبل و ما إن دخلوا حتى بدأت خالاتهم بضمهم و البكاء و كذلك الجد أما تيم و أخاه كانا في حالة ذهول لم يفهما ما يجري حولهما

بعد هذا الموقف عرفا بأن التي تربيهم ليست والدتهم إنما زوجة أباهم و أن أمهم قد فارقت الحياة منذ سنين طويلة و هذا فسر له سبب حب أمهم لأخويهم أكثر منهم بحجة أنهم صغار لكن في الحقيقة كانوا أولادها

و هذا الموقف سبب له و لشقيقه صدمة كبيرة عندها أمتنع تيم عن الطعام و الكلام لمدة يومين ثم بدأ شيئاً ما داخله بالانكسار و تغيرت الحياة في عيناه

واسيته ببضع كلمات لا داعي لها لأنه بدا شارد الذهن و عيناه لم تعد تحتمل قطرات الدمع فطردتها للخارج دون تردد شعرت حينها أنه في عالمٍ آخر لم يقطع شروده صوتي

في هذه الأثناء تذكرت قصة كانت قد روتها لي امرأة

يحكى بأن امرأة كانت على فراش الموت بسبب مرضٍ عضال و طلبت من زوجها و هي تنظر لولدها الرضيع أن يقطع يدها بعد وفاتها و يلفها ببعض الأقمشة حتى تبدو على

هيئة عصا و يتركها في البيت الذي سَيُسكن فيه زوجته التي سيتزوجها بعد وفاتها لم يقبل زوجها في بداية الأمر لكنها أصرّت و كانت هذه وصيتها الوحيدة ثم ماتت الزوجة و كان الزوج مجبراً على تنفيذ وصيتها

مرّت الأيام و تزوج الرجل فهو بحاجة لمن يهتم به و بولده

كان الرجل يقضى طوال نهاره في عمله و تقضي زوجته الجديدة أغلب أوقاتها مع الطفل و مع الأيام بدأ الطفل يكبر و صحته جيدة و الرجل يشعر بالامتنان لهذه الزوجة الصالحة التي أعطت ابنه الرعاية و الاهتمام كأنه ابنها و يلتفت بنظره و يرى يد زوجته القديمة في المنزل و هو يجهل سبب طلبها الغريب هذا و بعد أن أتم الطفل الخامسة من العمر بدا و كأنه جلد و عظم دائماً يرى كدمات على جسده لكنه كان يعتقد أنها بسبب اللعب قلق الرجل على ابنه و قرر أن لا يذهب للعمل في اليوم التالي ليراقب ما يجري و يعرف سبب الحال الذي وصل له ابنه

رأى زوجته تضرب ابنه بعصى فدخل للمنزل و بعد كلام كثير و حجج لا منطقية تذكر و سألها عن العصى القديمة فأجابته أنها رمتها هنا فهم الرجل مقصد زوجته من طلبها الغريب و بدأ يدمدم بكلام غير مسموع

يد الأم تبقى حنونة على والدها مهما ضربته لذا أرادت أن تكون يدها هي العصى لتحنّ على ابنها

بعد فترة بدأ يكبر بيننا الحب بشكل جميل رغم كل خلافاتنا إلّا أن الحب كان ينتصر دائماً حيث أن هذا الحب عاش لثلاث أعوام فقط كان خلالها تيم يشعرني بالاهتمام والحب لدرجة أنه أوهمني أنه أحنّ من أهلي كان يهتم بكل تفاصيلي ما أحب و ما أكره و يحرص على أن أكن بحالة مزاجية جيدة كي أتمكن من اجتياز امتحانات السنة الأخيرة

و في إحدى الليالي الباردة هاتفني ليخبرني أن والده مريض جداً و يشعر أن أجله قد دنى و يريد أن يزوجه فتاة لا أدري

إن كانت من أقاربه بدأتُ أصرخ و أبكي بقينا على هذا الحال الحزين لمدة شهر تقريباً بعدها كلمني ليخبرني بأن الخطبة لن تتم و ذلك بناءً على رغبة الفتاة حيث أنها رأت في المنام أن تيم أحضر لها سترة وردية اللون و هو يقول لها أن همس تحب اللون الوردي فقالت إذاً هي ليست لي خذها لها

- و هي كيف عرفت اسمي ؟
- أنا أخبرتها لكني لم أخبرها أنكِ من عشاق اللون الوردي

شعرت أن جبلاً كان على صدري وانزاح تنفسنا الصعداء و عدنا بعد أن تعافى حبنا من هذا الظرف الذي كان قد يؤدي لوفاته و فراقنا

صدق من قال الفراق أشد من الموت عندما يموت شخص عزيز تشعر بالحزن و الأسى لكن عزاؤك هو أنه الآن بين يدي رب كريم يرحم عباده و الموت ليس اختيار بل قدر لكن ما يقهر و يفطر القلب هو اتخاذ قرار الفراق تعرف أن هذا

الشخص يتنفس أنفاس غيرك و أنت تعيش على ذكرى هذا الحب تركك يتيماً وحيداً بملء إرادته فإنك تموت كل يوم ألف مرة ما أقساه من شعور و ما أتعسه من حظ

لكن حظي العاثر لم يسمح لفرحتي أن تدوم لمدة طويلة و ذلك للسبب ذاته حيث أن والده يريد منه أن يذهب و يرى عروساً مرة أخرى و لكن هذه المرة تم النصيب و جن جنوني

عانيت و عانيت بكيت و بكيت حتى جف دمعي

أين حبه الكبير ؟

أين إحساسه أنه أباً لي و أنا طفلته المدللة ؟

كيف يتركني بهذه البساطة ؟

كان يسكن روحي أردد اسمه بلا وعي لا أدري ما المتعة التي كنت أشعر بها عند ترديد أسمه بيني و بين نفسي ربما كنت أشعر بالقوة أو ربما كنت أوهم نفسي أنه لا يزال معي لا أدري و لم أنسه لكنني تناسيت بعد صدمة و عذاب مرير

تعايشت مع فكرة عدم وجوده في حياتي كان يصعب عليّ أن أصدق أنه نسيني و بدأ حياة جديدة بسهولة مع امرأة أخرى بعد سنة أضاءت شاشة هاتفي المحمول لتعلن عن مكالمة واردة نظرت لأرى من المتصل ذهلت حين رأيت اسمه يملأ الشاشة و لا أدري إن كان يملأ الشاشة أو كان يملأ قلبي هاتفني ليسأل عن أخباري أجبت باختصار و تعمدت إنهاء المكالمة كي يشعر بأنني نسيته و لم يعد يعني لي شيئاً و أنني بأفضل الأحوال بدونه

لا أدري ما سبب اتصاله أيعقل أن الحب يصحو من غفوته أي غفوةٍ هذه التي كانت ستودي بحياتي ؟

أيغفو الحب ؟

أم أن الشوق فاض به و لم يشعر أنه باتصاله يعتبر خائن لزوجته ؟

أم أن ضميره فجأة عاد للحياة ؟ لن أقل صحى من استطاع أن يجعلني أعاني بهذه القسوة و هو يدّعي أنه يحبني فضميره ميت حتماً

لا لا زمن المعجزات انتهى و لم يعد ميتٌ أبداً

لن أخدع نفسي بعد اليوم و أضع له الأعذار الكاذبة

و بعد سنة حان موعد اتصاله السنوي لكنه لم يكن يرد أن يطمئن على أحوالي

عاد ليكلمني و يطلب هذه المرة بعض الأدوية الغير متوفرة في مدينته لم أتردد في إرسالها له فهو لم يبخل يوماً بشيء كان كريماً معي كما أسلفت

كانت هذه آخر مكالمة و آخر مرة سمعت بها صوته و هكذا انقضت السنين الثلاث سنة حب و سنتين بُعد وفراق و عذاب حاولت بعد وقت ليس بقصير لا أدري إن كان سنة أو أكثر أن أكلمه لكني لم انجح كان هاتفه مغلق طوال الوقت إلى أن

خرج من الخدمة قطعت الأمل من سماع صوته و أخباره حتى أنني قطعت علاقتي بصديقي الذي هو قريبه بناءً على رغبة تيم و هو أيضاً لم يعد يسأل عن أخباري و كأنه كان يشعر تجاهي بشيء و شعر بالضيق لأنني أحببت تيم لا أدري قد أكون مخطئة لأنني لم أشعر يوم أنه أكثر من صديق و هو لم يشعرني أنه مهتم بي بشكل ملفت كنا أصدقاء فقط رغم أنه كان قد حذرني من هذه اللحظة التي سيعارض بها والد تيم زوجنا بسبب عادات و تقاليد عائلتهم لكني لم أهتم كانت مشاعري تتحكم بقرارتي

حيث أن العادات و التقاليد التي تتقلد بها هذه العائلة تحكم عليهم بأن لا يتزوجوا من خارج العائلة

ذهبت الأيام و مضت سنين عشر منذ أول لقاء و لم أعرف عنه شيء بعد المكالمة الأخيرة و لم اقبل فكرة الارتباط بعد ذلك لا أدري إن كان وفاءً له أم للحب ؟

أم حداداً على مشاعري المتوفاة ؟

أم شيئاً ما كُسِرَ بداخلي ؟

قلة ثقة بعد صدمة عمري التي لم اتوقعها ابداً

أم أنني فقدت رغبتي في الحياة برغم الأمومة التي أتمنى أن أشعر بها و أعيش تفاصيلها بحلوها و مرّها الذي يحلو لأجلها و كثيراً ما كنت أحدث نفسي إن كنت أنا قد فقد رغبتي في الحياة فكيف سأعطيها لغيري لم أكن أؤمن بأن فاقد الشيء لا يعطيه إلى أن وُضِعتُ بهذا الموقف

كل هذا مرّ سريعاً بلمح البصر تذكرت كل شيء كان يجمعنا سعادتنا ضحكاتنا عذابي فراقنا كل شيء أعلن حضوره في ذاكرتي ثم استجمعت قواي و رفعت يداي بحركة مسرحية و بدأتُ التصفيق و أنا أهتف ممتاز رائع و بسرعة تحولت نبرة صوتي لغضب و بدأت أصرخ في وجه ذاك الذي كان يشد ذراع المديرة أتركها و شأنها ماذا تريد منها و إذ بأحدهم

أمسك يدي بقوة و بحركة سريعة سحبت يدي و حاولت كسر يده لا أدري إن كانت كسرت أم لا ثم رميته أرضاً لا أدري من أين جاءتني كل هذه القوة أنا ذهلت من نفسي طالما اعتقدت أنني ضعيفة أم أن الخوف أثبت وجوده و دفع الادرينالين لا أدري بدأ ذلك الشاب يصرخ و يشتم فأسكته تيم و عاد بنظره لي قلت له

- هل أنت سعيد بما وصل له حالك ؟

رجالك يغتصبون النساء أي دين هذا الذي تدينون به ؟

ما هي مبادئكم

ذُهِلَ الموظفون فلم يجرأ أحداً منهم على الكلام ثم أكملت حديثي و بدأتُ أصرخ و ذهبت لذاك الذي كان يمسك بالمديرة و منعته من أن يؤذيها و قلت لهم إن كنتم تريدون هذا المكان خذوا ما شئتم و اتركونا نذهب فقال تيم لكِ ذلك

صعد الموظفين إلى حافلتين و لم يبقى إلّا أنا ليس لي مكان جاء تيم بسيارة و قال لي اصعدي تحرك الموظفون في الحافلات و نحن نسير خلفهم قلت لتيم لن أخرج من هذه المدينة حتى أخذ معي صديقتي رجاء تذكرها أليس كذلك ؟

ذهبنا لمنزلها القريب فالمدينة ليست كبيرة فرأيتها تبكي وحيدة تريد الخروج من المدينة هي و ابنتها الصغيرة لكنها لا تعلم كيف ستخرج كانت خائفة من أصوات الاشتباكات و الطيران الذي كان يقصف عندما رأتني أرادت أن تتكلم بادرت بالكلام و قلت لها ليس لدينا وقت لنضيعه تعالي عندما رأت تيم تفاجأت لكنها بقيت صامتة و خائفة صوت الانفجارات كان يملأ المدينة ثم رأيتُ الخالة فهيمة تقف عند أول المدينة جاءت لعملها و صدمت بالحرب الدائرة في المدينة و عندها قررت العودة لمنزلها دون الوصول لمكان العمل لكنها لم تستطع فالمدينة كلها في حالة فوضى عارمة لذلك اخذناها معنا و كنا على اتفاق مع زملائي الموظفين بأن نلتقي عند أول المدينة

كي أصعد معهم لأن بعضهم قرر النزول في المدينة لم يرغبوا في الذهاب و ترك أهلهم لأنهم من المدينة نفسها عندها سيكون لي مكان في الحافلة معهم لكن عندما وصلوا لمدخل المدينة لم تتوقف الحافلات بل أكملوا طريقهم حاولت أن أقول لهم توقفوا لكنهم تجاوزوني عن عمد كانت صدمتي كبيرة بتصرفهم الأناني هذا أنا التي كنت حريصة على حياتهم جميعاً و لم أذهب لوحدي على العكس بعد أن خرجوا جميعهم من مكان العمل خرجت أنا آخر شخص من هناك و لم يكن بينهم من يحرص على حياتي ذهبوا و تركوني أنظر للحافلات و هي تبتعد و بعد عدة كيلو مترات انفجرت الحافلات لا أدري إن كان لغم أو قذيفة إلّا أن جميع زملائي ماتوا تسمرتُ مكاني خائفة مصدومة حزينة و مشاعر كثيرة لا أعرف ما اسمها بدأ تيم يصرخ تعالي و يشدني بعد أن كنت أمشي دون وعي تجاه زملائي قال تيم لا وقت للعواطف الآن خذي هذه السيارة و اكملي طريقكِ لمدينتكِ أنتِ و من معكِ

فأجبته أنني لم أتعلم القيادة بعد فأعطاني عدة تعليمات مبدئية و قال أنه لا يستطع أن يبقى معي أكثر من ذلك لأن رجاله بانتظاره و قال لي اذهبي بسرعة فالطيران يقصف المدينة بدأت في القيادة كنت أعرف الطريق جيدا لكني لم أعرف كيف كنت أقود قيادتي كانت جيدة و كنت في قمة الدهشة من هذا حيث أنني لم يسبق لي أن قدت سيارة من قبل لكني كنت خائفة لا أعرف إلى متى ستبقى أعصابي متماسكة و متى سأنهار بعد كل ما جرى

منذ بداية هذا النهار سفر دام ثلاث ساعات إلى أن وصلت مكان العمل و هناك رأيت أبشع المناظر حرب و مسلحين و محاولات اغتصاب و صدمتي بوجود تيم كانت أكبر كيف و متى التحق بهذه الفصائل المسلحة و ذكرياتي معه التي لم ترحمني ثم صدمتي بالأنانية التي صدرت عن زملائي حين تركوني و ذهبوا و بعدها وفاتهم لا أدري هل أبكي منهم أم عليهم ثم قيادتي لسيارة للمرة الأولى دون معلم هذا أمر فظيع

كيف سأقود و معي الخالة فهيمة و صديقة عمري رجاء و ابنتها إن لم أخف على نفسي فيجب أن أركز في القيادة خوفاً عليهم و خاصة أنهم منهارين حاولت التماسك و التركيز على الطريق بقيت أقود لأكثر من ساعة و نصف حيث أنني ذهبت من طريق مباشر أعرفه أقصر لذا كانت المدة التي وصلنا بها أقل و أصعب ما في الأمر أنني كنت أسمع طوال الطريق صوت تك تك تك و لا أجرؤ على السؤال خوفاً من أن يسمعوه إن لم يسمعوه بعد و يتملكهم الفزع و أنا التي كنت متوترة من القيادة لا أريد أن يوترني أحد أكثر

وصلت لمدينتي أخيراً كانت خالية تماماً لا تظهر أي مظاهرٍ للحياة و كأنها مدينة أشباح لا يوجد بشر في الشوارع الجميع خائفين و جالسين في بيوتهم أمام شاشات التلفاز يتابعون الأخبار و ما ستؤول إليه احوال البلاد في الأيام القليلة القادمة و جميعهم شبه متأكد بأن الحرب ستمتد لباقي المدن القريبة بدأت بالتفكير في حال والداي لكنني قررت أن لا أفكر و أن

أركز على الطريق و جاء من حسن حظي خلو الطريق كي لا أفقد أعصابي إن كان مزدحم

وصلنا بخير الحمد لله لكني ركنتُ السيارة بعيداً عن منزلي و عن المباني حاولت أن أركنها بجانب الحديقة الخالية من الناس و فكرت بأنني يجب أن لا أخذ المفتاح لماذا لا أدري لكن هذا ما خطر لي في لحظتها تركت المفتاح داخل السيارة و تركتها تدور و هي بجانب الحديقة دون أن أطفئ محركها و نزلنا كلنا و عندما تأكدت أن الجميع نزلوا صرخت أركضوا بسرعة لم يفهموا شيئاً لكنهم ركضوا خلفي و ما أن ابتعدنا عن السيارة مسافة تقارب المئة متر انفجرت السيارة كما توقعت أدركت أن ذلك الصوت كان لقنبلة موقوتة و دعوت ربي أن يسعفنا الوقت و نصل قبل انفجارها و في هذه اللحظة لم أعد استطع التماسك أكثر انهارت أعصابي و لم تعد قدماي قادرة على المشي خطوة ساعدتني الخالة فهيمة بينما كانت رجاء تحمل ابنتها عندما وصلنا أمام باب المنزل لم تشأ

الدخول الخالة فهيمة و أصرت على الذهاب لتطمئن على أبنائها رجوتها أن لا تتحدث و لا تخبر أحداً بما حدث و خاصة أن ذلك سيعرضنا لمسائلات قانونية كثيرة نحن بغنى عنها و إن سألها أبنائها تخبرهم أنها لم تذهب لدوامها هذا اليوم لأن إحدى صديقاتها كانت مريضة و بحاجة مساعدتها وافقتني الرأي و ذهبت و أخبرت رجاء أن لا تخبر أحد بما جرى هي الأخرى و إن سألها أهلها تخبرهم أنها جاءت مع سيارة غريبة ممن كانوا ينزحون و تخبر أهلي أننا تقابلنا صدفة في الكراج و أخبرتني بما يجري في مدينتها و أن لا أذهب لعملي لأن الأوضاع تسوء لكننا تأخرنا بالمجيء لأننا ذهبنا للسوق لشراء بعض اللوازم لابنتها و ذكرتها أن تكلم أهلها و زوجها ليطمئنوا عنها كررت كلامي على مسامعها و أنا جالسة على الدرج لم أعد أقوى على الوقوف كنت أعلم أنها مصدومة و لم تستوعب ما أقول

عندما دخلنا كانت أمي تبكي و والدي جالس يضع رأسه بين يديه ما إن سمعوا صوتي حتى شكروا الله و حمدوه على سلامتي

سألوني و أجبتهم لكن حالتي النفسية لم تكن تدل على صدقي إلّا أنني تعللت بأنني تأثرت عندما سمعت هذه الأخبار السيئة و أنني خائفة أن تمتد الحرب و تصل إلى هنا

لم أكن أريد أخبار والداي ما جرى خوفاً على صحتهم لأن والدي مريض و أمي لن تستطع تحمل كل هذه الأخبار أعلم مدى حبها و خوفها علي

مرت الأيام لكني لم أتعافى من الصدمة و عقلي يأبى التصديق و كليّ اندهاش كم كنت قوية في هذا اليوم أهو الخوف من الحرب ؟

ام الخوف من الاغتصاب كما رأيت عندما دخلت للعمل ؟

أم خوفي على أهلي من سماع خبر سيء عني ؟

أو احساسي بالمسؤولية تجاه الخالة فهيمة و رجاء ؟

أو أنني بالفعل قوية بدليل تماسكي حتى آخر لحظة و حسن تصرفي في المواقف العصيبة

لا أعلم لكنني لن أنسى هذا اليوم عشت هذه الساعات و كأنها سنوات طويلة هناك شعور داخلي بأنني أعيشها إلى الآن

لكني اقنع نفسي أن هذا طبيعي بسبب كمية الصدمات التي تلقيتها في ذاك النهار و بسبب حزني على موت زملائي و فقداني لعملي و أنني مع الوقت إن لم أنسى سأتناسى أو أنني سأتعايش مع هذا الشعور الغريب

# لمحة عن الكاتب

الكاتبة أماني سليمان

سوريا محافظة الحسكة مدينة القامشلي

من مواليد ١٩٨٨/٨/٢

درست في كلية العلوم قسم كيمياء

أول مؤلفاتها كتاب خواطر بعنوان همسات النسمات

الثاني كتاب خواطر بعنوان صدى الأفكار

الثالث رواية بعنوان يُضمّدها الأمل

الرابع كتاب خواطر بعنوان عندما تتحدث الروح

الخامس رواية بعنوان أرواح تتأرجح على كفوف السحر

مسرحية بعنوان النبوءة

السادس كتاب خواطر بعنوان يا حزني السعيد

السابع رواية بعنوان قبل أن يراها

الثامن قصة بعنوان وكانت الصدمة